

لمحة جديدة عن أصل جسر الموصل في ضوء معطيات التحسس النائي

الدكتور فواز حميد حمو النيش

قسم الجغرافية/ كلية التربية/ جامعة الموصل

المستخلص:

لقد تطورت جسر مدينة الموصل عبر الزمن حسب تطور الحاجة إليها بين جسر وجسرين أو انعدامها في بعض الأحيان، وخاصة عندما كانت الدولة مهددة بعدو قادم من الجهة اليسرى لهذه المدينة، فتقوم بهدم المعابر والجسور أو في حال ضعف الدولة أو قلة ميزانيتها، عندما تتناوبها كوارث الفيضانات وتهدم جسورها، فلا تستطيع إعادة بناء هذه الجسور ثانية على ما كانت عليه قبل تلك الفيضانات. تطورت هذه الجسور حتى أصبحت على وضعيتها الحالية، ليصبح عددها اليوم خمسة جسر قاطعة لنهر دجلة. تشير الدلائل ضمن الصور الفوتوغرافية عند بداية ظهور التصوير الفوتوغرافي لهذه المدينة على وجود جسرين قد سبق الخمسة جسر أعلاه وهما جسر الخشب (الجديد) وجسر القناطر (القديم). كما ويشير الأزدي في حوادث سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م إلى قيام هارون بن أبي خالد والي الموصل ب ((حفر القناطر التي تمر بها المياه إلى دجلة)) لحماية المدينة من جهتها الشرقية وكخطة دفاعية عنها، عندما تعرضت للتهديد من الجهة الشرقية.

المقدمة:

أن تحرك قطعات الجيوش أيام الدولة الآشورية ذات التنقلات والغزوات الكثيرة من جهة فضلا عن خبرتهم في بناء الجسور والسدود، استلزم منهم بناء معابر أو جسر لمثل هذه الجيوش الجرارة. يفرض البحث الحالي إن الجسور كانت أيام الدولة الآشورية على نهر دجلة في موقع مدينة الموصل الحالية. لاسيما أن موقع المدينة الحالي وأهميتها، هو نفس موقع عاصمة الدولة الآشورية عندما انتقلت إلى نينوى والتي تضم قلبها المعروف ضمن السور الأثري الحالي والواقع على الجانب الأيسر من ضفة نهر دجلة.

يهدف البحث الحالي إلى ذكر الجسور الحالية ولم يدخل في تفاصيلها، بل سوف يتعمق في الجسور المندثرة منها ضمن ثلاثة مباحث أحداها نظري والآخر تطبيقي عملي. والأخير للمناقشة والنتائج، ليثبت المبحثان الأخيران منها الفرضية أعلاه بدلالة معطيات التحسس النائي.

١. جسور الموصل عبر الزمن:

كان للموصل سور يحيط بها شأنها كباقي المدن الأثرية والحضارية، استخدم كحصناً دفاعياً عنها، وللمزيد من الخطط الدفاعية التعزيزية لها فقد استخدم نهر دجلة كحاجز دفاعي آخر من جهتها الشرقية، ولكن الحاجة كانت تكمن أيام السلم لعبور هذا النهر، لكون مدينة الموصل ليس مجرد مدينة عابرة فحسب؟. بل كانت مدينة لها أهميتها وقوتها العسكرية عبر الزمن وخاصة عندما كانت تصبح بيد والٍ ذي قوة وشان. لنقل الجيوش عبر الضفة اليسرى للنهر آنذاك، كان من الضروري إنشاء جسر لها. يذكر المرحوم سعيد الديوه جي بأن أول وقفة له على جسور هذه المدينة هو ما بناه مروان بن محمد عندما تولى الموصل مرتين احدهما سنة ١٠٢ هـ ٧٧٠ م إلى ١٠٤ هـ ٧٧٢ م والثانية من سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣ م إلى سنة ١٢٧ هـ ٧٤٤ م، وأول نص عثر عليه يذكر فيه الفن المعماري للجسر وعمل قناطر له في الضفة اليمنى من النهر، ما ذكره ياسين العمري عن حوادث سنة ١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م. بينما يقال كانت السفن واسطة النقل بين الجانبين قبل هذا التاريخ وقد أعزى بالسبب إلى أن الموصل كانت حصناً صغيراً عندما فتحها المسلمون سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م، حتى اتجهت عليها القبائل العربية بعد الفتح (الديوه جي ١٩٥٦).

تتوالى الأخبار مستفيضة عن جسور الموصل عبر التدوين في العديد من الكتب التاريخية. وكما ذكر أعلاه بأن أول جسر بناه العرب في الموصل سنة ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م (الحموي ١٩٠٧). كما ويشير الأردني في حوادث سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م إلى قيام هارون بن أبي خالد والي الموصل بـ (حفر القناطر التي تمر بها المياه إلى دجلة) (الازدي ١٩٦٧). وفي سنة ٥٣٧ هـ - ١١٣٢ م قام عماد الدين الزنكي بتوسيع سور المدينة ومدّها إلى الجسر وجعل للجسر باب (الديوه جي، ١٩٤٧). رغم أنه لم يرد وصف لجسر الموصل في القرون الوسطى، غير الوصف الذي ذكره بعد ذلك بعض الأوروبيون والرحالة الذين زاروا الموصل في القرون المتأخرة (الديوه جي ١٩٥٦). كما في الجدول (١). يأتي التدوين من قبل أهالي هذه المدينة وقناطرها المتواجدة على نهر دجلة وكما في الجدول رقم (٢).

جدول (١) يعبر عن أقوال الرحالة حول جسر الموصل في القرون المتأخرة

الزائر	السنة	أهم ما قال حول الجسر
الدكتور ليونارد راووف	٩٨٢ هـ - ١٥٧٢ م	...وعبرنا على جسر مصنوع من فوق عدد من القوارب
أدوارد ايفز الذي	١١٧٢ هـ - ١٧٥٨ م	...وعبر قسم منا على جسر له تسعة عشر قاربا. ثم صعدنا من الجسر إلى القناطر التي ترتفع عن مستوى الجسر قليلا، وهي قديمة ومتداعية.
كارستون نيبور	١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م	... ويربط نينوى بالموصل جسر... حيث يبلغ عرضه ٦٦ خطوة مزدوجة أي نحو ٣٠٠ قدم. ويطفو على عشرين عوامة... وقناطره كانت واطئة وضيقة، بحيث أن تيار الماء جرفها وهدمها في أول موسم لفيضان النهر بعد بنائها.....
ج. أ. أوليفي	١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م	اتصال الموصل مع القسم الشرقي من دجلة مؤمن بواسطة جسر على قوارب، يمر علىه بسهولة كل سنة تقريبا...
جي. سي. بكنكهام	١٢٣١ هـ - ١٨١٦ م	انحدرنا من المدينة إلى النهر وعبرناه فوق جسر من قوارب يبلغ طوله ١٥٠ خطوة حصان. وكانت القوارب غير متقنة الصنع... وبعد انتهاء الجسر انحرفنا إلى الجنوب الشرقي فوق جسر صخري من طراز إسلامي، مبني فوق مجرى شعبة متفرعة من دجلة.
وليم هود	١٢٣٢ هـ - ١٨١٧ م	... يوصل إلى نينوى بجسر حجري ذي خمس عشرة قنطره... يظهر أن القنطرة السادسة عشرة قد انهارت
كلوديوس جيمس ريج	١٢٣٧ هـ - ١٨٢٢ م	أن طول جسر القوارب ٣٠٥ قدم. وفيه ٢١ قاربا ثم يليه أرض طولها ١٤٠ قدم تكون بين الجسر والقناطر الحجرية التي يبلغ عددها ستة عشرة قنطرة والتي طولها

٥١٢ قدم وبذلك يكون طول جميعها ٩٥٧ قدم. وعند الفيضان يصلون الجسر بالقناطر مباشرة.		
... للمدينة جسر محكم عريض، متكون من جساريات، سهل العبور، بحيث يجتازه ثلاث من الخيالة بصف واحد، يعبرونه باطمئنان...	١٨٢٢ هـ - ١٢٣٧ هـ م	المنشئ البغدادي

عمل الباحث:- استناداً إلى سعيد الديوه جي (١٩٥٦)، "جسر الموصل في مختلف العصور"، مجلة سومر، العدد ١٢، ص ١١٢-١١٥.

جدول (٢) يعبر عن تدوين أهالي الموصل حول جسر وقناطر الموصل القديمة والواقعة على نهر دجلة

عن	السنة	المناسبة والقول
ياسين العمري (حوادث سنة ١١٣٣ هـ)	١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م	عندما تولى صاري مصطفى باشا الموصل سنة ١١٣٣ هـ وأراد أن يبني لها قناطر ثابتة بدلاً من الأخشاب والأحجار والرمال التي كانت توضع عند باب الجسر أيام الصيهود. فأمر أعيان المدينة بالبناء، حيث بنى علي أفندي العمري الجزء الذي تمر عليه الناس بمستوى الجسر وبنى الرتبة الأعلى منها لإسماعيل أغا الجليلي وبنى الرتبة الثالثة والأخيرة قره مصطفى باشا. واستراحت الناس لفترة وجيزة من التعب.
ياسين العمري (حوادث سنة ١١٣٥ هـ)	١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م	أمر ثانية والي الموصل ضاري مصطفى باشا الأعيان الثلاثة -الذين تقدم ذكرهم ببناء مسناة لجسر الموصل محل القناطر التي انتهوا من بنائها قبل سنتين وخربتها المياه. هذه المسناة لم يتم بنائها، بسبب مصاريفها العالية، ولم يجزِ الولاية على صرف المبالغ المقتضية لها.
عباس العزاوي، العراق بين احتلالين (٢٠٨:٥)	١١٥٥ هـ - ١٧٤١ م	جدد عمارة القناطر الحاج حسين باشا بن إسماعيل باشا الجليلي التي عبرها ألوارد ايفز وكاسرستون نيبور كما جاء في الجدول رقم ١-.
ياسين العمري (حوادث سنة ١١٨٠ هـ)	١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م	بأمر من نامق باشا والي بغداد آنذاك، عُمر جسر الموصل، ولما أكمل العمل وضع ضريبة قرشاً على كل خيال يمر عليه، ولما فاض النهر هدم الجسر، وبعد تناقص الماء باشرت الحكومة بعمارته ثانية.
ياسين العمري (حوادث سنة ١٢٠١ هـ)	١٢٠١ هـ - ١٧٨٧ م	ففي سنة ١٢٠١ هـ جدد عمارة القناطر بكر أفندي بن يونس أفندي الموصلي، بعد أن كانت غير كاملة ويتعذر العبور عليها والتي لم يرد نص بتعميرها بما يقرب من ٢٠ سنة غير ما جاء في حوادث سنة ١٢٠١ هـ. أعلاه. ثم جدد بنائها ثانية سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م وسنة ١٢١٤ هـ - ١٧٩٩ م بواقع ست قناطر في السنة الأولى وعشرة في السنة الثانية. من بعد ما يقرب من ٢٠ سنة، زارها وليم هود ووجدتها بحالة غير جيدة كما جاء في الجدول ١- أعلاه.

سعيد الديوه جي (١٩٤٧)	أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر	يظهر لنا ان القناطر كانت متهدمة وبحالة غير مرضية. وبعد هذا التاريخ بنيت القناطر، وأضيف إليها قناطر أخرى تمتد إلى الشرق، وصار عددها ٣٣ قنطرة. كما وبني في غربها ست قناطر أخرى أقل ارتفاعاً منها. وهنا يريد ان يفسر بانحدارها نحو الماء لإمكانية ربط الجسر العائم على الزوارق بالحبال بمستويات مختلف وحسب منسوب الماء آنذاك.
--------------------------	--	--

عمل الباحث: استناداً إلى سعيد، الديوه جي (١٩٥٦)، "جسر الموصل في مختلف العصور"، مجلة سومر، مجاد ١٢ لسنة ١٩٥٦.

من بعد بناء القناطر بصيغتها النهائية التي وصفها الديوه جي في الجدول (٢) والتي لم يستطع من تحديد السنة التي بنيت بها هذه القناطر، والتي قدر عمرها بقرن من تاريخ بحثه حول جسور الموصل. يذكر أيضاً آخر حادث يروونه حول القناطر، هو أنه في سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م، شنت الحكومة العثمانية الشيخ عبد الكريم بن الشيخ صفوك - شيخ شمر - وأن حديدة المشنقة التي أدركها هو شخصياً كانت مثبتة في إحدى هذه القناطر، وبقيت هذه الحديدة في تلك القنطرة إلى أن هدمت القناطر سنة ١٩٣٤ م، أي بعد أن اكتمل جسر الملك غازي الأول (جسر نينوى) الحالي. أما بناء أعمدة القناطر فكانت من الأحجار الكلسية، ويروي احد المعمرين بان سقوفها كانت معقودة بالأجر والنوره (الجص) المخلوطة بالحلو (الدبس) وذلك لغرض الزيادة في سرعة جفافها وتصلبها كما قيل لي. وكما في الشكل - ١.



A VIEW OF MOSUL FROM THE NORTH.

شكل (١): يمثل صورة لجسور مدينة الموصل المندثرة على نهر دجلة قبل إنشاء الجسور الحالية كافة

ناهيك عن جسر القناطر (القديم) المشار إليه أعلاه والذي كان بمثابة الجسر الرئيس عبر الأزمان لهذه المدينة وفي نفس الموقع تقريباً والذي شهد العديد من الهدم والعماران، فقد عرفت المدينة إلى جانب هذا الجسر جسور أخرى، وإن كانت لم تدم لفترة طويلة باستثناء الجسور الحالية، كما حصل في القرن السادس الهجري عندما أصبحت الموصل عاصمة الدولة الأتابيكية، وفي زمن مجاهد الدين قيمان المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م وجد من الأجدر به أن يبنى جسراً ثانياً. قال ابن خلكان في كلامه حول الجسر الذي بناه مجاهد الدين (...ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلي ووجد الناس به رفقا كثيراً لعدم كفايتهم بالجسر الأصلي)، وبهذا فقد صار بالموصل جسران، وآخر من ذكر هذا الجسر عندما توفي بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ، حتى دمر هذا الجسر من قبل المغول سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م، يتألف هذا الجسر من ثلاثة أقسام وهي كما يلي: كبري الدجاج - ويقع أقصى الشرق وكبري النص في (المنتصف) وكبري السلام ويمتد أقصى الغرب على نهر دجلة قبالة جامع مجاهد الدين . جامع الخضر . الحالي، وقد كان الجسر مبنياً من الخشب كسائر جسور القرون الوسطى المقامة على الأنهر الكبيرة وفي جانبي الجسر توجد قناطر وركائز يرتكز عليها الجسر، وتبنى عادة من الجص والحجارة والأجر (الديوه جي ١٩٥٦).

في سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٤ م فتح والي الموصل سليمان النظيف جزء من شارع نينوى (العمري د ت)، الذي كان يمتد من الشرق إلى الغرب ليقسم المدينة القديمة إلى نصفين (الديوه جي ١٩٥٦) ثم أكملت فتحه القوات الإنكليزية سنة ١٩١٨ م. عندما كان مع الجيش البريطاني سيارات ومدافع ثقيلة وعجلات مختلفة وللجيش حركة متواصلة مع الجانب الشرقي لتوطيد حكمهم في شمال العراق، وكان الجسر القديم (القناطر) متهدماً وقليل المقاومة ولا يمكن أن يعتمد عليه في مثل هذه الحركة والمتواصلة، لذا وجب إنشاء موقع لجسر جديد عرف فيما بعد بجسر الخشب أو جسر الإنكليز، فبنوا له دعائم (مسناة) من الحجارة الضخمة على الجانبين، الشرقية منها موجودة حالياً والتي تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة، ومجاورة لمركز الشرطة النهرية. كما في الشكل - ٢.



شكل (٢): يمثل صورة لبقايا دعامة جسر الإنكليز الشرقية في مدينة الموصل

كان الجسر القديم (المكمل للقناطر) من الجهة الغربية يستند على زوارق مربوطة مع بعضا البعض على جانبي النهر، وهو بذلك لا يمكنه مقاومة تيارات الماء وخاصة في مواسم الفيضانات، فكانوا يقطعونه خشية تحطمه عند ارتفاع مناسيب المياه. أما جسر الخشب أو جسر الإنكليز الذي أنشأ سنة ١٩١٨ فكان يرتكز على زوارق كبيرة أو سفن صغيرة عائمة وكانوا الأهالي يربطوا السفن بأسلاك مرنة قوية تمتد على عرض النهر، ويثبتوا الأسلاك على جانبي النهر ببيكرات حديدية كانوا بواسطتها يرخون الأسلاك أو يشدونها نظرا لارتفاع مياه الفيضانات أو انخفاضها، تبلغ عدد قطع الجسر المتصلة بالسفن سبع عشرة قطعة وبطول ١٢٥ يارد ويعرض ٨ يارد، وبقي هذا الجسر إلى سنة ١٩٣٢م (الديوه جي ١٩٥٦). ينقطع الجسر في الجهة الشرقية نحو القناطر الحجرية المبنية على نهر الخوصر، والتي كانت تتمم القناطر الحجرية التي كانت واقعة على نهر دجلة وكما في الشكل ١.

أما الجسور الموجودة حاليا فأقدمها جسر الملك غازي الأول المعروف حاليا بجسر نينوى. بوشر بينائه سنة ١٩٣٢ وانتهى منه سنة ١٩٣٣م (الديوه جي ١٩٥٦). فقد رفعوا منسوب الأرض في الجهة الشرقية من الجسر، بحيث أصبحت مساوية لمنسوب الضفة اليمنى للنهر، بنفس الطريقة السابقة لجسر القناطر القديم لتلاف طغيان الماء على هذه الضفة أيام الفيضانات، حتى تلتقي بالقناطر الحجرية الواقعة فوق نهر الخوصر، ليرفعوا منسوب الأرض ثانية حتى ساحة الفيصلية الحالية. يبلغ طول الجسر ٣٠٤م وعرضه ١٠,٣١ م. يليه في القدم جسر الحرية (الثاني) الواقع إلى الجنوب من الأول والذي بدأ العمل به سنة ١٩٥٥ وانتهى سنة ١٩٥٧، ثم تلت الجسرين

الجسر الثالث والرابع والخامس، هكذا اعتادت المدينة أن تطلق الأسماء على الجسور رغم وجود الأسماء الرسمية لها من قبل الدولة.

٢. النظرة الميدانية عن قدم جسور الموصل:

أدرك أجدادنا نهر دجلة في مدينة الموصل ينقسم شمال قرية القاضية إلى فرعين يصب أحدهما أمام (قره سراي) بحيث كانت الأراضي التي تحيط بمنطقة عين كبريت الحالية بعيدة عن مجرى نهر دجلة على العكس كما هو عليه الآن، ويجري الفرع الثاني ملازماً لتل القاضية ومن جهته الغربية (الديوه جي ١٩٤٧). أي أن نظام النهر في هذه المنطقة كان يختلف عما هو عليه الآن وهو نظام النهر الواحد، شأنه كنهر دجلة أمام مدينة كالحو (النمرود) الأثرية أيام الدولة الآشورية (النیش ٢٠٠٠).

تغير نظام نهر دجلة في مدينة الموصل إلى قناة واحدة حتى أصبح بموقعه الحالي بسبب الحفر العمودي للنهر وخاصة لفرعه الرئيس بحيث كان أكبر سعة من الآخر، وتغير موقعه شيئاً فشيئاً باتجاه الغرب حتى أصبح الماء لا يستطيع إتمام مساره في فرعه الشرقي، لأن النهر تركه خارجاً وبمنسوب أعلى منه. والسبب الثاني الذي زاد من عملية توحيد النهرين وتغير نظامه إلى النهر الواحد، في أوائل القرن الثاني الهجري - الثامن للميلاد، حفر الحر بن يوسف الأموي نهره الذي عرف في العصر العباسي بنهر زبيدة (الديوه جي ١٩٤٧) إلى الشمال من مدينة الموصل بمنطقة حاوي الكنيسة (النیش وسلطان ٢٠٠٦). واتجهت غالبية المياه إلى فرع النهر الرئيس السابق الذكر وبذلك قل الحفر الرأسي ومنسوب الماء في الفرع الثاني لهذا ترك جانباً.

الحقيقة التي جاء بها الديوه جي عن جسور الموصل كما في المبحث الأول، أغنت هذا البحث بكثير من المعلومات. ولما كان موضع الموصل هو نفس موضع العاصمة الآشورية نينوى التي عرفت بشهرتها وقوتها. فقط أنها تختلف بموضع نهر دجلة، فهو يقع شرق مدينة الموصل وغرب مدينة نينوى الأثرية، لذا وجب أن لا نقف عند الفترة الإسلامية لوحدها، لأن الجسر يعتبر وسيلة ربط بين الضفتين، ولأننا ندرس موضع طبيعي وخدمي لسكان هذه المنطقة، والذي لا يمكن أن نقف أو نحدد استمرارية وجوده بفترة زمنية محددة، بل يعتمد ذلك على نشاطات الإنسان ودخله عبر الزمن في منطقة تواجدته. لذا وجب أن نذهب إلى أبعد من ذلك وخاصة عندما تتوفر قوة للدولة، فإن المشاريع لاشك أنها سوف تزدهر أيضاً. الرقعة الجغرافية هنا لمدينة الموصل في العصرين الآشوري والإسلامي معاً. لذا وجب ربط هذين العصرين، ولربما تشير الوسائل الحديثة أو الجديدة

للبحث، بدلالة معطيات التحسس النائي إلى ربط هذه الرقعة بجسر حقيقي متواصل زمنياً، ولربما تغني موضوع البحث بأفكار جديدة.

فرق المناسيب بين ضفتي نهر دجلة عند موقع مدينة الموصل يدل على أن الضفة اليمنى للنهر أعلى منسوباً مما عليه في الضفة اليسرى بعدة أمتار، لذا وجب في حالة إنشاء جسر من عمل بناء في الضفة اليسرى لكي تساوي مناسيب الضفة اليمنى لنهر دجلة وخاصة أيام الفيضانات، من هنا برزت فكرة القناطر في مدينة الموصل لتحل هذه المعضلة.

تشير الدلائل إلى أن هذه القناطر لم تكن يوماً لتعبر نهر دجلة إلى الضفة اليمنى من النهر كباقي جسور العالم بل كانت تتم بوساطة جسر خشبي عائم على قوارب يختلف عددها حسب كمية المياه وتصريفه، فيزداد عددها أيام الفيضانات ويقل أيام الصيهد وسنوات الجفاف، وكان الجسر ينقسم إلى أجزاء تعرف بأسماء مختلفة منها الثابت والمتحرك، وهذا يدلنا إلى وجود تصميم قديم حكم البناء بأن يكون بهذه الطريقة، وليس إلى خطة دفاعية للمدينة كما يعرف وخاصة في بداية نشأة هذه المدينة عندما كانت بحجم لا يؤهلها إلى إنشاء مثل هذا الجسر، بسبب وقوع الجسر خارج سور المدينة آنذاك. في القرن السادس الهجري توسعت المدينة وامتدت العمارة فيها إلى الأماكن التي كانت تقع خارج السور الذي بناه العقيليون سنة ٤٧٤ هـ - ١٠٨١ م وكما جاء في أعلاه. حصن عماد الدين الزنكي مدينة الموصل بسور منيع سنة ٥٣٧ هـ - ١١٣٢ م ومد السور إلى الجسر وجعل له باب عرف باب الشط

(الديوه جي ١٩٤٧) حينها يمكن لنا أن نفكر بأن تصميم الجسر بأجزاء مختلفة بأن يكون كخطة دفاعية لها، لأن الجسر عندما يكون خارج سور أي مدينة فانه سوف يكون معبراً للغزاة والطامعين عليها والقادمين من الضفة الأخرى للمدينة. ومن ثمة سهولة محاصرتها بجيوشهم. وفي حالة هذه المدينة فسوف يكون معبراً لجيوش الغزاة القادمين إليها من الجهة الشرقية.

كان بإمكان بناء الجسر أن يصلوا ضفتي النهر بقناطر ثابتة، ولو أوعزنا السبب في هذا إلى الجوانب الاقتصادية، أي قلة مصاريف وعدم إمكانية الإنفاق لإعادة بناء الجسر في حالة تدمره لأسباب الفيضانات المتكررة كما حصل أيام صاري مصطفى باشا سنة ١١٣٣ هـ. عندما فاتح أهل المدينة بعزمه بناء قناطر على نهر دجلة وإن خزينته لا تكفي لسد مثل هذا العمل، فأمر أعيان البلد ببنائها وكما جاء في أعلاه. فعندئذ كان يجب عليه أن يأخذ أقصر طريق ممكن لبنائها، ولكن العكس هو الذي حصل في البناء لأن هذه القناطر عرفت بشكلها الزكزاكي على نهر دجلة وعبر الزمن وفي نفس الموضع كما في الشكل ٣. وكما جاء فإن الإنفاق المحدود يستوجب بناء جسر

بأقصر طول ممكن ولكن بناء جسر بطول اكبر يدل على حكم جبري للمنفذ، ويجب أن يتبعه في هذه الحالة، ألا وهو وجود أساس للجسر أصلاً في هذا الموقع، وعادة ما يكون بناء الأساس ذو تكلفة اكبر من البناء الأصلي.. وهذا يمكن أن يكون سبباً ثاني أن يحكم المنفذ للبناء بهذه الطريقة. والأسس كانت السبب نفسه الذي جعلت تقريباً حكم بناء كافة جسور الموصل القديمة في نفس الموقع.

تكلّمنا عن ارتفاعات جسر الموصل القديم الواقع على نهر دجلة أي البعد الثالث له والصيغة التي كان يتميز بها، ولم نتكلم على شكله الأفقي أي الأحداثيين السيني والصادي. بني هذا الجسر بشكل فريد ومتميز عن الجسور المعروفة اليوم فقد بني بفن معماري آشوري كما في الشكل ٢. بنيت السدود الآشورية على نهر دجلة بشكلها الزكزاكي لمقاومة تيارات الماء وخاصة أيام الفيضانات المدمرة التي كادت أن تدمر كل ما حولها في بعض السنوات (النيش ٢٠٠٠).



Image ©2007 DigitalGlobe, 2007 Europe Technology

شكل (٢): يمثل صورة بيان فضائي لموضع قناطر الموصل القديمة على نهر دجلة

كما وانه بني على أسس متصلة مع بعضها البعض بين أعمدة (الدنك) الجسر أي بدون منافذ للمياه. وهذا لا يمكن أن يصح لتصميم أي جسر، لان الاتصال بين أعمدة سوف يؤدي إلى غلق منافذ المياه ومن ثمة سرعة تدمره أيام الفيضانات، إلا إذا كان الجسر قد انشأ على أنقاض سد آشوري وكما في الشكل ٣. ولما كان البناء موجوداً أيام الدولة الآشورية، لذا أوجب أن يكون معبراً لها ولجيشها أيام السلم والحرب. ومما جاء نفس بان الجسر قد بني بناء إجباري وعلى أنقاض لسد آشوري، وان الجسر كان أصلاً أيام الدولة الآشورية واستمر إلى يومنا هذا بنفس الموقع أي أن جسر الموصل تقيد بموضع الجسر الحجري القديم حتى تطورت طرق بناء الجسور في العالم وكما هو عليه الآن من جسور في هذه المدينة.



شكل (٣): يمثل صورة فوتوغرافية مختلفة لبقايا جسر الموصل القديم (القناطر)

٣. المناقشات والنتائج:

١. يدل البحث الحالي أن دجلة عبر الزمن لم يعرف في مدينة الموصل بنظام النهر الواحد كما هو عليه الآن، بل على فرعين بأقل تقدير عندما ينقسم النهر: الأول، والذي يصب قبالة قرة سراي ويجري الثاني:- تحت التل التي تقع عليه قرية القاضية الواقعة باتجاه الشمال الشرقي من مدينة الموصل الحالية، ومن الجهة الغربية للتل. بعبارة أخرى أن نظام النهر كان يختلف عما هو عليه الآن والمعروف بنظام النهر الواحد.

٢. وجود الجسر خارج حدود سور الموصل الذي بناه العقيليون سنة ٤٧٤ هـ ١٠٨١ م قبل توسعاً في القرن السادس الهجري، ومد السور إلى الجسر من قبل عماد الدين الزنكي ٥٣٧ هـ - ١١٣٢ م وجعل للجسر باب، دليل على وجود الجسر قبل أول جسر بناه العرب في الموصل سنة

- ١٢٨ هـ ٧٤٥ م وحتى قبل فتح المسلمين للموصل سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م. عندما كانت حصناً صغيراً. لعدم حاجتها لمثل هذا الجسر لصغرهما آنذاك أولاً وجعلها عرضة للأعداء ثانياً عندما بني الجسر خارج نطاق السور، وضعف في الخدمات ثالثاً.
٣. لما كانت الضفة اليمنى من نهر دجلة في مدينة الموصل أعلى من اليسرى، واستوجب من عمل قناطر أيام الفيضانات في الضفة اليسرى لحل مشكلة فرق المناسيب، لماذا لم تكن في المنطقة القريبة من مركز تجمع السكان أولاً وفي المناطق التي لا تحتاج إلى جسر عائم على قوارب ثانياً. أي إلى الشمال من موقعه قبالة آثار باشطابيا وقره سراي الشامختين اليوم في نهر دجلة بمدينة الموصل.
٤. اتصال دعامات الجسر مع بعضه البعض من القاعدة وعدم مرور الماء بحرية دليل على خطأ في التصميم للجسر وكما في الشكل ٣. هذا جائز عندما يجبر المهندس بالبناء كأن يتتبع بإنشائه مساراً لسد قديم للتقليل من كلفة البناء أو عدم امتلاكه تقنية كافية للبناء.
٥. من بيني جسراً بضخامة جسر القناطر، يستطيع أن يبينه بحيث يوصل الضفتين، وليس أن يتم أو يربط بجسر عائم محمول على قوارب من الجهة الغربية، وما يفسره الأغلبية حول هذا: بأنه خطة دفاعية للمدينة. هذه الفكرة صحيحة في القرون الأخيرة عندما ضم سور المدينة بتوسعة مدخل الجسر، ولكن عندما كان الجسر يقع خارج حدود سور المدينة كما جاء في الفقرة ٢. أعلاه حتى القرن السادس الهجري، لذا يعتبر الجسر بحذافيره ضعف عسكري للمدينة. ويجب عدم بنائه أصلاً، لأن الجيوش تستطيع العبور على الضفة الثانية ومن ثمة حصار المدينة. وهذا يدل على حكم في البناء يكون أسس الجسر موجودة أصلاً ومتمثلة بعمران قديم لا يمكن إزالته بسهولة كما حدث بوجود آثاره لحد يومنا هذا.
٦. تتولى الأخبار عن جسر القناطر (القديم) ذات الأثر الواضح حقلياً لحد يومنا هذا، وتتعدم آثار الجسور الأخرى باستثناء الدعامة الشرقية لجسر الخشب الواقعة إلى الشمال من جسر نينوى الحالي وعلى الضفة اليسرى للنهر. دليل على ضخامة جسر القناطر، التي يدل على فن آشوري والمعتمد على الكتل الصخرية الكبيرة لمقاومة تيارات الماء.
٧. الشكل الزكزاكي لجسر القناطر كان سبب لبقاء أثره لحد يومنا هذا، رغم كثرة الفيضانات عليه منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. والشكل الزكزاكي فن آشوري عرف في بناء السدود الآشورية على نهر دجلة لمقاومة تيارات الماء. وكان هدمه من قبل أهالي مدينة الموصل سنة ١٩٣٤ م، بعد اكتمال جسر نينوى (الحالي).

٨. عدم تدوين عمل السد أو الجسر قبالة نينوى الأثرية من قبل الملوك الآشوريين الذين اشتهروا بالتدوين في الفترة الآشورية الحديثة دليل على أنه أقدم زمناً، وبذلك يمكن أن يكون هذا الإنشاء للسد أو الجسر ضمن الزمن الآشوري الوسيط أو القديم.

المصادر

١. الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد (١٩٦٧)، "تاريخ الموصل"، تحقيق علي حبيبة، حوادث سنة ١٣٩٩هـ، العدد ٢، دار المعارف القاهرة، ص ٢٦-٤٢.
٢. الحموي، ياقوت بن عبد الله (١٩٠٧)، "معجم البلدان"، طبع في مصر.
٣. الديوه جي، سعيد (١٩٤٧)، "سور الموصل"، مجلة سومر، العدد ٣ ص ١١٧-١٢٨.
٤. الديوه جي، سعيد (١٩٥٦)، "جسر الموصل في مختلف العصور"، مجلة سومر، مجلد ١٢، ص ١٠٨-١٢٣.
٥. النيش، فواز حميد حمو (٢٠٠٠)، "جيومورفولوجية نهر دجلة الحالية تبرز نظام ري عراقي يقرب من ٣٠٠٠ سنة مقابل مدينة كالحو الأثرية"، وقائع المؤتمر الدوري الخامس، مركز موارد المياه والسدود، جامعة الموصل، ص ٣١٣ - ٣٢٥.
٦. النيش، فواز حميد حمو وسلطان، طارق فتحي (٢٠٠٦)، "الري العباسي في قضاء الموصل الحالي/دراسة جيومورفولوجية تاريخية"، عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الخامس للعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تكريت، مجلد ١٣ العدد ٦، ص ٥٣٠ - ٥٥٠.
٧. العمري، ياسين (د.ت) "منية الأدباء"، (د.ط)،

Image ©2007 Digital Globe, 8. 2007 Europe Technology

A new overview of the origin of the Mosul bridges in light of remote sensing data

Dr. Fawaz Hamid Hamo Al-Nish

Geography Department / College of Education / University of Mosul

:Abstract

The bridges of the city of Mosul have evolved over time according to the evolution of the need for them between one bridge and two bridges, or their absence in some cases, especially when the state was threatened by an enemy coming from the left side of this city, destroying the crossings and bridges or in the event of a weak state or a low budget, when it suffers from flood disasters And its bridges are destroyed, so they cannot rebuild these bridges again as they were before the floods. These bridges evolved into their current state, and today there are five bridges crossing the Tigris River.